

تفسير ابن كثير

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ
بِالشَّاكِرِينَ

وقوله : (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أي : ابتلينا واختبرنا وامتحنا بعضهم ببعض (ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) وذلك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان غالب من اتبعه في أول البعثة ، ضعفاء الناس من الرجال والنساء والعبيد والإماء ، ولم يتبعه من الأشراف إلا قليل ، كما قال قوم نوح لنوح : (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) الآية [هود : 27] ، وكما قال هرقل ملك الروم لأبي سفيان حين سأله [عن تلك] المسائل ، فقال له : فهل اتبعه ضعفاء الناس أو أشرافهم؟ قال : بل ضعفاؤهم . فقال : هم أتباع الرسل والغرض : أن مشركي قريش كانوا يسخرون بمن آمن من ضعفاءهم ، ويعذبون من يقدرون عليه منهم ، وكانوا يقولون : (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا) ؟ أي : ما كان الله ليهدي هؤلاء إلى الخير - لو كان ما صاروا إليه خيرا - ويدعنا ، كما قالوا : (لو كان خيرا ما سبقونا إليه) [الأحقاف : 11] ، وكما قال تعالى : (وإذا

تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا ([مريم : 73] . قال الله تعالى في جواب ذلك : (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا ورثيا) [مريم : 74] ، وقال في جوابهم حين قالوا : (أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي : أليس هو أعلم بالشاكرين له بأقوالهم وأفعالهم وضمايرهم ، فيوفقهم ويهديهم سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إليه صراطا مستقيما ، كما قال تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) [العنكبوت : 69] . وفي الحديث الصحيح : " إن الله لا ينظر إلى صوركم ، ولا إلى ألوانكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " وقال ابن جرير : حدثنا القاسم : حدثنا الحسين ، حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة في قوله : (وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم) الآية ، قال : جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، في أشرف من بني عبد مناف من أهل الكفر إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك محمدا يطرد عنه موالينا وحلفاءنا ، فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ،

وأدنى لاتباعنا إياه ، وتصديقنا له . قال : فأتى أبو طالب النبي - صلى الله عليه وسلم -
فحدثه بالذي كلموه فقال عمر بن الخطاب ، - رضي الله عنه - : لو فعلت ذلك ، حتى
تنظر ما الذي يريدون ، وإلى ما يصيرون من قولهم؟ فأنزل الله عز وجل ، هذه الآية : ()
وأندره الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم [ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون
ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه] (إلى قوله :) أليس الله
بأعلم بالشاكرين (قال : وكانوا بلالا وعمار بن ياسر وسالما مولى أبي حذيفة وصبيحا
مولى أسيد ، ومن الحلفاء : ابن مسعود والمقداد بن عمرو ومسعود بن القاري وواقد بن
عبد الله الحنظلي وعمرو بن عبد عمرو وذو الشمالين ومرثد بن أبي مرثد - وأبو مرثد من
غني حليف حمزة بن عبد المطلب - وأشباههم من الحلفاء . ونزلت في أئمة الكفر من
قريش والموالي والحلفاء : (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من
بيننا) الآية . فلما نزلت ، أقبل عمر ، - رضي الله عنه - ، فاعتذر من مقالته ، فأنزل الله
، عز وجل : (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا [فقل سلام]) الآية